PSYCHOLOGY AND EDUCATION (2024) 61(9): 195-212
ISSN: 1553-6939

Relationships between sentences and aspects of textual cohesion in Surah Al-Tawbah

Dr. Abdelghani Benahmed[1], Dr. Reda Bireche[2]

[1]University Center Si El Hawas – Barika (Algeria), E-mail: abdelghani.benahmed@cu-barika.dz
[2]University Center Si El Hawas – Barika (Algeria), E-mail: ridha.bireche@cu-barika.dz
Received: 08/2024, Published: 09/2024

Abstract:

This study attempts to discover the manifestations of textual cohesion in Surah Al-Tawbah, from two angles: the first, through what modern textual researchers have developed for cohesion. The second concerns the grammatical position of sentences and their effect on textual cohesion. Therefore, the research was titled: "Relations between sentences and aspects of textual cohesion in Surah Al-Tawbah."

The study was paved with a theoretical study on grammatical coherence and its tools, then it was followed by an applied study, to study the sentences that have their function in syntactic analysis and the tools of textual cohesion with examples from Surah Al-Tawbah.

Keywords: text linguistics, coherence, harmony, conjunctions, sentence functions.

العلاقات بين الجمل ومظاهر التماسك النصي في سورة التوبة

د. عبد الغني بن أحمد[1]، د. بيرش رضا[2]

[1]المركز الجامعي سي الحواس – بريكة (الجزائر)، البريد الإلكتروني: abdelghani.benahmed@cu-barika.dz
[2]المركز الجامعي سي الحواس – بريكة (الجزائر)، البريد الإلكتروني: ridha.bireche@cu-barika.dz

ملخص:

تحاول هذه الدراسة كشف الغطاء عن تجليات التماسك النصي في سورة التوبة، من زاويتين: الأولى، من خلال ما وضعه لسانيو النص المحدثون من وسائل للتماسك. والثانية، من خلال موقع الجمل الإعرابي وأثرها في التماسك النصي، ولذا جاء البحث بعنوان: «**العلاقات بين الجمل ومظاهر التماسك النصي في سورة التوبة.**

وقد مهدت الدراسة بمبحث نظري عن الاتساق النحوي وأدواته، ثم عطفت بمبحث تطبيقي، لدرس الجمل التي لها محل من الاعراب وأدوات التماسك النصي بأمثلة مستقاة من سورة التوبة.

الكلمات المفتاحية: لسانيات النص، الاتساق، الانسجام، حروف العطف، وظائف الجمل.

مقدمة:

لقد شغلت النصوص اهتمام الدارسين منذ القديم، وقد فُجّرَت عدة قضايا، برزت في عدة محاولات للكشف عن سرّ التلاحم في النصوص، فكانت من المحاولات العربية القديمة دراسة السبك والحبك، والوصل والفصل، والربط، والقرائن، وعلم المناسبة، وغيرها من القضايا، في خطوات قلمّا نجد لها نظيرا، قصدَ البحث عن معاني النصوص ومواطن جمالها خاصة منها النص القرآني.

وبرز هذا الاهتمام عند اللسانيين المحدثين، من خلال دمج المحاولات العربية القديمة بآخر ما توصلت إليه النظريات اللسانية الحديثة، ليشكلوا بذلك علما متداخل الاختصاصات يُعنى بدراسة النصوص. ولمّا كانت العلاقات بين الجمل تُسهم في إبراز نصية النصوص، رأى البحث أن يصوِّب الأنظار إلى دراسة العلاقات بين الجمل، فدراسة علاقة الجوار بين الجمل، وصلات بعضها ببعض لا غنى عنه لفهم النص، وتفجير مواطن الجمال فيه، ويتجلى ذلك في تتبع الروابط اللفظية والمعنوية التي تفَصِّل مجملا، أو تعطي تفسيرا، لا يمكن الوصول إليه إلا من خلال ذلك الرابط اللفظي أو المعنوي، أو تُجيب عن تساؤل، وهلم جرا. وهذا ما سيتبين لنا من خلال دراستنا لأدوات التماسك النصي الملحوظة والملفوظة، لإبراز العلاقات بين الجمل، ليتبين لنا بعد ذلك كيف تُبرزُ العلاقات بين الجمل، التماسك النصي.

ولهذا جاء عنوان هذا البحث: «**العلاقات بين الجمل ومظاهر التماسك النصي في سورة التوبة**» منطلقا من إشكالية فحواها: هل **للموقع الإعرابي للجملة أثر على تماسك النص.** متسائلين: **هل يمكن اعتماد الموقع الإعرابي كقرينة معنوية تسهم في تماسك النص؟**

وتهدف هذه الدراسة إلى:

1- دراسة التماسك النصي من خلال الموقع الاعرابي للجملة.

2- دراسة العلاقات بين الجمل كون هذه العلاقات قرينة معنوية تسهم في تماسك النص.

- أولا الاتساق وأدواته:

1. الاتساق النحوي:

يعتني بدراسة العلاقات داخل النص، ويشمل الأدوات التي سنبينها فيما يأتي:

2. الإحالة: reference

تسهم الإحالة بشكل كبير في اتساق النص لأنها تقوم بالربط بين أجزائه، وتعني «أن العناصر المحيلة مهما كان نوعها لا تكتفي بذاتها من حيث التأويل، إذ لا بد من العودة إلى ما تشير إليه من أجل تأويلها.»[1]

وتطلق العناصر الإحالية كما يعرفها الأزهر الزناد «على قسم من الألفاظ لا تملك دلالة مستقلة، بل تعود على عنصر أو عناصر أخرى مذكورة في أجزاء أخرى من الخطاب: فشرط وجودها هو النص وهي تقوم على مبدأ التماثل بين ما سبق ذكره في مقام، وبين ما هو مذكور بعد ذلك في مقام آخر.»[2]

إلا أن هذا التعريف لا يأخذ بعين الاعتبار المتكلم كما يرى أحمد عفيفي، وبالتالي فالتعريف الأشمل – حسبه- هو «أن الإحالة ليست شيئا يقوم به تعبير ما، و لكنها شيء يمكن أن يحيل عليه شخص ما باستعماله

تعبيرا معينا»[3]. و يضيف «و على هذا فإن للمتكلم أو (الكاتب) الحق في الإحالة حسبما يريد هو وعلى المحلل أن يفهم كيفية تلك الإحالة حسب النص و المقام.»[4]

والإحالة في علم اللغة النصي هي وسيلة من وسائل الاتساق، تقوم بالربط بين أجزاء النص، فهي تأخذ بعين الاعتبار العلاقات بين أجزاء النص و تجسيدها، وخلق علاقات معنوية من خلال تلك العناصر الإحالية.[5]

- أنواع الإحالة:

تنقسم الإحالة إلى نوعين رئيسين هما: الإحالة المقامية (خارج النص)، والإحالة النصية (داخل النص)، وتتفرع الإحالة النصية إلى إحالة قبيلة وإحالة بعدية، وسنوضح ذلك في الرسم الآتي:

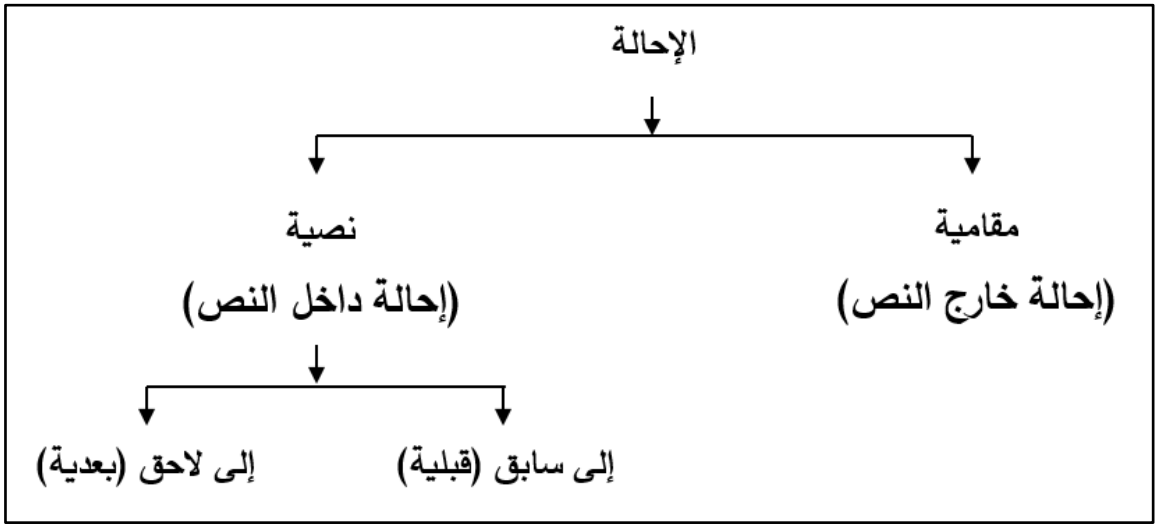

3. الاستبدال:

الاستبدال من العناصر المهمة التي تحقق التماسك بين الجمل، ويعرف بأنه «عملية تتم داخل النص، إنه تعويض عنصر في النص بعنصر آخر.»[6] ومعنى ذلك أن الاستبدال عملية تتم داخل النص، ومعظم حالاته تكون بين عنصر متأخر و آخر سابق له. ولمعرفة كيف يسهم الاستبدال في تحقيق الاتساق بين الجمل نضرب المثال الآتي:

My uxe is too blunt. I must get a sharper one.

(فأسي جد مثلومة يجب أن أقتني [فأسا] أخرى حادة)[7]

فلو أخذنا الجملة الثانية "يجب أن أقتني أخرى حادة" بالتحليل، دون الرجوع إلى الجملة السابقة لها، لما تبين المقصود بكلمة (أخرى)، فكانت العلاقة بين الجملة الأولى والثانية هي استبدال كلمة (فأس) بـ (أخرى)، وذلك لتجنب التكرار، ومنه كان الاستبدال عنصرا هاما لتحقيق التعالق بين الجمل.

4. الحذف:

حتى يعبر الإنسان عن حاجاته وعن الأحداث المحيطة به، يحتاج إلى كثير من العبارات، والتي يجد صعوبة في ذكرها كلها؛ لأنّ ذلك يتطلب منه وقتا وجهدا، وقد يؤدي بالسامع إلى الملل من الكلام، ومنه يلجئ المتكلم للحذف. ويُعَد الحذف عنصرا هاما من عناصر التماسك، وقد عبّر عنه **عبد القاهر الجرجاني** بتعبير لطيف، قال: «هو باب دقيق المسلك، لطيف المأخذ، عجيب الأمر، شبيه بالسحر، فإنك ترى ترك الذكر، أفصح من

الذكر، والصمت عن الإفادة أزيد للإفادة، وتجدك أنطق ما تكون إذا لم تنطق، وأتم ما تكون بيانا إذا لم تُبنْ»[8]

ويذهب **دي بوجراند** إلى أن الحذف: «هو استبعاد العبارات السطحية التي يمكن لمحتواها المفهومي أن يقوم في الذهن، أو أن يعدّل بواسطة العبارات الناقصة.»[9] يقصد أن العبارات في البنية السطحية تكون غالبا غير مكتملة، أما محتواها المفهومي فهو موجود في البنية العميقة. ولحذف أحد العناصر لابدّ أن تترك قرائن معنوية أو مقالية تومئ إليه.

نلاحظ وجود شبه كبير بين الحذف و الاستبدال إلى الحد الذي جعل بعض الدارسين يصفونه بأنه "استبدال من الصفر،" قال أحمد عفيفي: « فالحذف باعتباره وسيلة من وسائل التماسك لا يختلف دلالة عن الاستبدال، وهما متشابهان جدّا غير أن الحذف استبدال من الصفر.»[10] ومعنى ذلك أن «علاقة الاستبدال تترك أثرا، و أثرها هو وجود أحد عناصر الاستبدال، بينما علاقة الحذف لا تخلف أثرا، ولهذا فإنّ المستبدل يبقى مؤشرا يسترشد به القارئ للبحث عن العنصر المفترض، مما يمكنه من ملء الفراغ الذي يخلقُه الاستبدال بينما الأمر على خلاف هذا في الحذف، إذ لا يحل محل المحذوف أي شيء.»[11]

والحذف الذي يحقق التماسك النصي -كما يرى **محمد الخطابي**- هو الحذف الذي يقع بين الجمل، أما الحذف الذي يكون على مستوى الجملة الواحدة، فيكون عبارة على علاقة بنيوية لا يقوم فيها الحذف بأي دور اتساقي، وعليه فدور الحذف في الاتساق ينبغي البحث عنه في العلاقات بين الجمل، و ليس داخل الجملة الواحدة.[12]

5. الربط:

يشكل الربط محورا هاما من محاور الاتساق، وما يميز الربط هو أنه يمكن اعتبار أي عنصر من العناصر السابقة (الإحالة بأنواعها، و الاستبدال...) عنصرا من عناصر الربط، فعندما نبحث في الكتب عن مفهوم الربط و أدواته نجد منها الضمائر، المقارنة الاستبدال ...إلخ، قال **أحمد عفيفي:** «وجاءت الإحالة Reference لتكون واحدة من الوسائل المهمة للربط؛ حيث استطاعت أن تمزج بين بعض الأنواع السابقة، كاستخدام ضمائر الغياب و الإشارة و اسم الموصول ... إلخ» [13]

وأشهر أدوات الربط التي تكلم عنها علماء العربية في القديم هي ما أسموه بـ "العطف" «فأداة العطف عند عبد القاهر من الروابط التي لا غنى عنها في وصل الجمل بعضها ببعض. وقد فرّق بين الواو -وهي من أشهر حروف العطف- والفاء التي توجب -فضلا عن الإشراك في الحكم- الترتيب. وثم التي توجب الترتيب مع التراخي. وأو التي تفيد التخيير. و لكن وبلْ و كل منهما تفيد الاستدراك و الإضراب.»[14]

وقد تنبه عبد القاهر الجرجاني إلى مدى التلاحم الذي ينجم على عطف الجملة على جملة أخرى، بينهما جملة أو اثنتان تفصلان بين المعطوف والمعطوف عليه؛ لأنه يجعل الكلام وكأنما أفرغ إفراغ السبيكة، لا تستطيع أن تستغني عن شيء منه، ومن ذلك قول المتنبي: من الوافر

تَوَلّوْا بَغْتَةً فَكَأنّ بَيْناً تَهَيّبَني فَفاجأني اغْتِيالا

فَكانَ مَسيرُ عيسِهِمِ ذَميلاً وَسَيرُ الدَمعِ إثرَهُمُ انهِمالا

فجملة (كان مسيرُ عيسهم) عطفت على قوله (تولوا بغتة) والعلاقة بين جملة (كان مسير عيسهم ذميلا) والجملتين (كأن بينًا تهيبني، وفاجأني)، علاقة مغايرة من حيث المعنى، لذا كان العطف على قوله (تولوا بغتة) ولهذا السبب كانت مع الأولى كالشيء الواحد.[15] والعرب قديما قد تكلموا عن العطف بشكل مفصل وربطوه بقضية الفصل والوصل كما عرضوا لهذه القضية على ثلاثة محاور:

أ- **كمال الاتصال:** وهي أن يكون ما قبلها بمنزلة الصفة من الموصوف والتأكيد من المؤكد، فلا يدخلها عطف لشدة الامتزاج، مثل قوله تعالى: ﴿﴾ الم ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِلْمُتَّقِينَ (2) البقرة 1-2 وقوله تعالى﴿ خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ التوبة/ 103

فإنها بيان للأمر بالصلاة.[16]

أ- **كمال الانقطاع**: ويعني أن يغاير ما قبلها، وليس بينهما نوع ارتباط بوجه، فلا عطف أيضا، إذ شرط العطف المشاكلة، ومثال ذلك قوله تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنْذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنْذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ البقرة/06 بعد قوله﴿ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴾البقرة/09

لأن العاطف يوهم الملابسة بوجه قريب أو بعيد، بخلاف سقوط العاطف؛ فإنه وإن أوهم المطابقة إلا أن أمره واضح، فبأدنى نظر يعلم فزال الالتباس.[17]

ب- **التوسط بينهما:** وهو أن يغاير ما قبلها، لكن بينهما نوع ارتباط، وهذه هي التي يتوسطها العاطف[18] مثل قوله تعالى ﴿ أُولَئِكَ عَلَى هُدًى مِنْ رَبِّهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ البقرة/ 05

أما كمال الاتصال وكمال الانقطاع، فيتصلان بالتوابع فـ «التابع: إما كامل الاتصال بمتبوعه، فينزل منه منزلة جزئه فلا يحتاج إلى رابط، وهو التوكيد وعطف البيان والصفة، وإما كامل الانقطاع عنه، فينزل منزلة ما لا علاقة له مع ما قبله، فلا يحتاج أيضا إلى رابط وهو البدل لأنه في نية الإضراب عن الأول واستئناف الحكم للثاني. وإما متوسط بين كمال الاتصال، وكمال الانقطاع، فيحتاج إلى الرابط وهو المعطوف عطف النسق.»[19]

أما عند النصانيين المحدثين، فإنهم يعرفون الربط على أنه «تحديد للطريقة التي يترابط بها اللاحق مع السابق بشكل منظم»[20] ومعنى هذا حسب **محمد خطابي** أن: «النص عبارة عن جمل أو متتاليات متعاقبة خطيا، ولكي تدرك كوحدة متماسكة تحتاج إلى عناصر رابطة متنوعة تصل بين أجزاء النص.»[21]

6. الاتساق المعجمي:

يعد الاتساق المعجمي آلية من آليات الاتساق، وقد قسمه الباحثون إلى نوعين: التكرار(reiteration) والتضام (collocation).

7. التكرار: reiteration

يعد التكرار من أهم الظواهر التي تتسم بها جميع اللغات. وقد عرف هذا الباب اهتماما من قبل الدارسين سواء عند العرب القدماء أم عند اللسانيين المحدثين. وقد عولج التكرار في البلاغة العربية عند كثير

من العلماء، بوصفه أصلا من أصول "علم البديع"، وعده **ابن الأثير** من باب "البيان" عند كلامه عن الصناعة اللفظية. وعده **الجرجاني** «من معاني النحو التي تبث في النظم (الكلام) الانسجام والاتساق والتناسق.»[22] وحدُّ التكرار عند البلاغيين العرب «دلالة اللفظ على المعنى مرددا.»[23] ويعرفه "**السجلماسي**" بقوله: «هو إعادة اللفظ الواحد بالعدد أو النوع أو المعنى الواحد؛ بالعدد أو النوع في القول مرتين فصاعدا».[24] ومن شواهده نجد قوله تعالى﴿وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ﴾ الواقعة/10، 11

وقول عبيد بن الأبرص:

هَلّا سَألتَ جُموعَ كِدْ دَةَ يَومَ وَلَّوا أَينَ أَينا [25]

ففي قوله تعالى « السابقون السابقون» جاءت الثانية لتؤكد الأولى، وهذا لبيان فضل السبق عند المولى عز وجل، فالذين يسابقون في رضا الله تعالى، ينالون شرف القرب منه، فقد وصف الله تعالى عباده المقربين الذين نالوا من فضله ونُصروا بنصره وأجاب لهم الدعاء بأنهم: ﴿ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَوَهَبْنَا لَهُ يَحْيَى وَأَصْلَحْنَا لَهُ زَوْجَهُ إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ ﴾ الأنبياء/90

وقد ذكر "**السعدي**" (ت1376 هـ) في تفسيره للآية: «ولمّا ذكر هؤلاء الأنبياء والمرسلين، كلا على انفراده أثنى عليهم عموما فقال: «إنهم كانوا يسارعون في الخيرات» أي يبادرون إليها ويفعلونها في أوقاتها الفاضلة، ويكملونها على الوجه اللائق الذي ينبغي»[26]

والذي شاهدناه في الأمثلة السابقة يسمى بـ: "التكرار اللفظي" وقد يكون التكرار في المعنى دون اللفظ، ويسمى بالتكرار المعنوي، ويقابله في اللسانيات النصية الترادف أو شبه الترادف، ومن شواهده في البلاغة العربية قوله تعالى﴿وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ ال عمران/104

وقول الحطيئة: من البسيط

قالَت أُمامَةُ لا تَجزَع فَقُلتُ إِنَّ العَزاءَ وَإِنَّ الصَبرَ قَد غُلِبا

(أما من منظور لسانيات النص، فنجد **محمد خطابي** يعرفه على أنه: «شكل من أشكال الاتساق المعجمي يتطلب إعادة عنصر معجمي، أو ورود مرادف له أو شبه مرادف أو عنصرا مطلقا أو اسما عاما.» [27]
ومن هذا التعريف يتبين لنا أنّ أنواع التكرار حسب النصانيين أربعة، نبينها من خلال المثال الآتي:

I turned to the ascent of the peak

(the ascent)

(The climp)

(The task)

(The it thing)

is perfectly easy

شرعت في الصعود إلى القمة

(الصعود)

(التسلق)

(العمل)

(الشيء)

هو سهل الغاية [28]

- فالنوع الأول: إعادة للكلمة نفسها الواردة في الجملة الأولى: يعبر عنه بكلمة (الصعود).

- أما النوع الثاني: إعادة مرادف الكلمة، ويعبر عنه بكلمة (التسلق).

- أما النوع الثالث: هو اسم مطلق أو عام تندرج فيه الكلمة المكررة، ويعبر عنه في المثال السابق بكلمة (العمل).

- والنوع الرابع: ويقصد به أي كلمة عامة تندرج ضمنها الكلمة المقصودة ويعبر عنه في المثال السابق بكلمة (الشيء)، ويُقصَد بالأسماء العامة مجموعة صغيرة من الأسماء لها إحالة معممة مثل: "اسم الإنسان" و"اسم الواقع" و"اسم المكان"، وما شابههما (الناس، الشخص، الرجل، المرأة، الطفل، الولد، البنت...)[29]

8. التضام: collocation

بداية لابد أن نشير إلى أن التضام ينقسم إلى ثلاثة أنواع؛ فالتضام النحوي يُعنى بالأبواب النحوية، وهو يعني استلزام أحد العنصرين النحويين لعنصر آخر، إمّا على سبيل الاختصاص أو على سبيل الافتقار. أمّا التضام البلاغي فهو الطرق الممكنة في رصف جملة ما، فتختلف طريقة منها عن الأخرى تقديما وتأخيرا، فصلا ووصلا وهلم جرّا، ويطلق على هذا الفرع من التضام "التوارد."[30] أما التضام المعجمي فهو «انتظام مفردات المعجم في طوائف يتوارد بعضها مع بعض ويتنافر مع بعضها الآخر، فالأفعال طوائف تتوارد كل طائفة منها مع طائفة من الأسماء، وتتنافر مع الأسماء الأخرى»[31] فمن غير المقبول أن يقال "فهم الحجر المسألة" لأن الفعل (فهم) يتطلب فاعلا عاقلا، ولا يقال أيضا "انكسر الخيط" لأن في الخيط من المرونة ما يحول بينه وبين وصفه بالكسر، فهذه التراكيب تشتمل على كلمات متنافرة ومن ثم تفتقد عنصر الإفادة وقد أطلق "**تمام حسان**" على مناسبة كلمة للدخول على الأخرى "بالمناسبة المعجمية" وعكسها "المفارقة المعجمية"[32]

أما **محمد خطابي** فيعرف التضام المعجمي على أنه «توارد زوج من الكلمات بالفعل أو بالقوة نظرا لارتباطهما بحكم هذه العلاقة أو تلك»[33]

وقد أعطى **هاليداي ورقية حسن** مثالا على ذلك وهو:

Why does this boy wriggle all the time؟- girls don't wriggle.

(ما لهذا الولد يتلوى في كل وقت وحين؟ البنات لا تتلوى)

فعلى الرغم من أن "الولد والبنات" ليسا مترادفين إلا أن ورودهما في خطاب ما يسهم في النصية، والعلاقة التي تحكم هذين العنصرين هي علاقة تضاد أو تعارض، وإضافة إلى علاقة التعارض هناك علاقات أخرى تحكم التضام مثل: الكل-الجزء أو عناصر من القسم العام نفسه مثل: كرسي، طاولة (وهما عنصران من اسم عام هو التجهيز...) على أنّ إرجاع الأزواج إلى علاقات واضحة تحكمها ليس دائما أمرا هينا.[34]

لا شك أن هذه الأدوات التي وضعها اللغويون قديما وحديثا تسهم في إبراز العلاقات بين الجمل حتى تغدو نسيجا متماسكا تبرز من خلاله نصية النص، لكن يا ترى هل يكتفي النص بهذه العلاقات الخطية فحسب أم أنّ هناك علاقات أخرى تنظم الجمل وتجعلها كالسبيكة الواحدة، محققة بذلك التماسك النصي؟ لا شك أن الجواب على ذلك سنعرفه من خلال دراسة الموقع الإعرابي للجملة وأثره في تحقيق التماسك النصي.

- ثانيا الموقع الإعرابي للجمل و أثره في التماسك النصي (دراسة في الجمل التي لها محل من الإعراب)

عدّ **تمام حسان** الموقع الإعرابي للجمل من العلاقات الملحوظة التي تسهم في فهم النص. فأحيانا قد يتجاوز المعنى العلاقات اللفظية، إلى علاقات أخرى تحتاج إلى جهد لفهمها، ومن بين الأمثلة التي ضربها **تمام حسان** في ذلك قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنْذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنْذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنْذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنْذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ البقرة/06

فقد تساوى في نص الآية الإنذار وعدمه، فاحتاج المتلقي إلى فهم كنه هذا التساوي ومرجعه:

أ- أهو عدم المبالاة؟

ب- أم هو الإصرار على موقف ما على رغم النتائج المحتملة ؟

ت- أم عناد لا ينفع معه الإنذار؟

فلما جاءت جملة **"لا يؤمنون"** فسرت التسوية التي في الجملة السابقة بأنها مجرد عناد، فعلاقة التفسير المقصودة هنا تشير إلى جملة في النص تكشف عن المقصود بجملة سابقة [35]

وعلى الرغم مما تصنعه الجمل التي لا محل لها من الإعراب في تشكيل العلاقات وتحقيق التماسك إلا أننا سنقتصر على دراسة الجمل التي لها محل من الإعراب فحسب، بسبب ضرورة التقيد بحجم البحث. وقبل أن ننتقل إلى المحل الإعرابي للجمل، سنشير إشارة طفيفة الى مدى أهمية الإعراب في تبيان المعنى.

الإعراب بصفة عامة –سواء أكان إعراب مفردات أم إعراب جمل– له دور كبير في فهم المعنى « والإعراب في النحو مأخوذ من المعنى الأول، وهو الإبانة عما في النفس والكشف عنه، ذلك أن الإعراب يُبين عن المعاني ويكشف عنها، ولولاه لكان الكلام مبهما غير مفهوم ولا معلوم، فقولك (ما أحسن خالد) مثلا يحتمل معاني عدة ولا يتضح المعنى المقصود إلا بالإعراب، فإن قلت (ما أحسنَ خالدُ) كنت نافيا الفعل الحسن عن خالد، وإن قلت (ما أحسنُ خالدا) كنت متعجبا، وإن قلت (ما أحسنُ خالدٍ) كنت مستفهما.»[36]

- **ثانيا دراسة التعالق الجملي في سورة التوبة من خلال أدوات الاتساق:**

1. الاتساق النحوي:

1.1. الإحالة:

تبين لنا سابقا أن الإحالة هي عود عنصر لغوي على عنصر لغوي آخر، موجود في جملة سابقة له أو لاحقة عليه، وقد تكون بين عنصر وبين متتالية برمتها من الجمل ليشكل هذا العنصر علاقات فيما بينها.

2.1. الضمائر:

الضمير اسم يدل على متكلم أو مخاطب أو غائب، ويعرفه مصطفى الغلاييني «ما يكنى به عن متكلم أو مخاطب أو غائب، فهو مقام ما يكنى به عنه، مثل: « أنا و أنت و هو» و كالتاء من « كتبتُ وكتبتَ و كتبت» و كالواو من «يكتبون» وهو سبعة أنواع: متصل و منفصل، وبارز و مستتر، ومرفوع و منصوب و مجرور.»[37]

وقد ورد الضمير بكثرة في هذه السورة المباركة ويمكن الاقتصار على نموذج واحد، قال عز وجل: ﴿ إِلَّا الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ثُمَّ لَمْ يَنْقُصُوكُمْ شَيْئًا وَلَمْ يُظَاهِرُوا عَلَيْكُمْ أَحَدًا فَأَتِمُّوا إِلَيْهِمْ عَهْدَهُمْ إِلَى مُدَّتِهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ ﴾ التوبة/04

بدأ الله عز وجل الآية بالاستثناء {إلا الذين} ثم بين الصنف الذين استثناهم حيث قال {من المشركين}، ثم بين أكثر من هم صنف المشركين، حيث عطف الجملة على النفي {ثم لم ينقصكم شيئا}، والشاهد في الآية: هو الضمير المتصل مع ميم الجمع "هم".

وفي قوله: {فأتموا إليهم عهدهم إلى مدتهم}، الضمير المتصل "هم" يعود على {الذين عاهدتم من المشركين} في الجملة الأولى، وبيان صنف المشركين نجده في الجملة الثانية والثالثة {ثم لم ينقصوكم شيئا ولم يظاهروا عليكم أحدا} أما بيان مدلول الاستثناء فنجده في الجملة الرابعة {فأتموا إليهم عهدهم إلى مدتهم} فقد أسهم الضمير " هم" إلى جانب الضمير المتصل " واو الجماعة" في { ينقصوكم} و{يظاهروا} في الربط بين الجمل؛ حيث لا يمكننا فهم مدلول الضمير إلا إذا عدنا إلى الجمل السابقة، فالضمير قد أحال إلى الصنف الذين بيّنهم الله عز وجل في الجمل السابقة، ومعنى" عهدهم إلى مدتهم" «ذلك أن الله لم يأمر نبيه -صلى الله عليه وسلم- بنقض عهد قوم كان عاهدهم إلى أجل، فاستقاموا على عهده بترك نقضه، وإنما أجل أربعة أشهر من كان قد نقض عهده قبل التأجيل، أو من كان له عهد إلى أجل غير محدود. فأما من كان أجل عهده محدودا، ولم يجعل بنقضه على نفسه سبيلا، فإن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- كان بإتمام عهده إلى غاية أجله مأمورا.» [38]

3.1. أسماء الإشارة:

تشمل الإحالة الإشارية عدة عناصر من بينها الإحالة بالضمائر.[39] والإشارة هي «حدث أو شيء يشير إلى حدث أو شيء آخر، وأنه لابد للإشارة من مادة أو مرجع، كما لابد من مؤول لها»[40] ، والفرق بين الإحالة بأسماء الإشارة و بين الإحالة بالضمائر أنّ «إشاريات الخطاب عناصر إشارية لا تحيل إلى ذات المرجع الذي تحيل إليه الإحالات الضميرية، فإذا روى شخص قصة تذكره بأخرى قال: لكن تلك قصة أخرى.»[41] فهنا العنصر الذي أحال إليه اسم الإشارة "تلك" لا يصلح أن يحل مكانه ضمير، فلا نقول مثلا: «هي قصة أخرى»، بل لابد من الإشارة إليها، لأن المرجع المحال إليه يحتاج اسم إشارة و ليس ضميرا، كما أنّ أسماء الإشارة لا يمكنها أن تحدد حضور الشخوص وغيابهم في ذاتها، بل لابد لها من السياق حتى تفهم، قال الأزهر الزناد: «إذا كانت الضمائر تحدد مشاركة الشخوص في التواصل أو غيابها عنه، فإنّ أسماء الإشارة (أسماء الإشارة المكانية و الزمانية و كذلك الظروف الدالة على الاتجاه) تحدد مواقعها في الزمان و المكان داخل المقام الإشاري. وهي تماما مثلها لا تُفهم إلاّ إذا رُبطت بما تشير إليه، ويجري تقسيمها في اللغة العربية إلى أقسامها المعروفة باعتماد المسافة (قربا وبعدا) من موقع المتكلم في المكان أو الزمان»[42].

وأسماء الإشارة « تقوم بالربط القبلي والبعدي»[43] بين الجمل. ومن شواهده قوله تعالى: ﴿ثُمَّ يَتُوبُ اللَّهُ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ عَلَى مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ التوبة/27

فاسم الإشارة " ذلك" يحيل إلى العذاب، حيث قال عزّ وجلّ في الآية السابقة لها: ﴿ثُمَّ أَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَنْزَلَ جُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا وَعَذَّبَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَذَلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ﴾ التوبة/26

فقد ساعدتنا الجملة السابقة على معرفة ما تعود عليه " ذلك " وهو " العذاب"، والذين يتوب عليهم هم الذين أسلموا من "هوازن" بدليل الآيات السابقة.

4.1. الأسماء الموصولة:

الأسماء الموصولة من أهم العناصر التي تسهم في الإحالة، ويعرّف الاسم الموصول على أنّه «ما يدلّ على معين بواسطة جملة تذكر بعده، وتسمى هذه الجملة (صلة الموصول) »[44] أي إنّ الاسم الموصول يفتقر دائما إلى جملة تأتي بعده لتبينه، «ويشترط في الصلة أن تكون معهودة، أو مُنَزَّلَةً مَنْزِلَة المعهودة، وإلا لم تصلح للتعريف، فالمعهودة نحو «جاء الذي قام أبوه» و المُنَزَّلة منزلة المعهودة هي الواقعة معرض التهويل و التفخيم نحو: ﴿فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ بِجُنُودِهِ فَغَشِيَهُمْ مِنَ الْيَمِّ مَا غَشِيَهُمْ﴾طه/78 ﴿ فَأَوْحَى إِلَى عَبْدِهِ مَا أَوْحَى ﴾ النجم/10»[45] ويشترط للصلة أن تحتوي على ضمير يعود على الموصول، ويكون مطابقا له، قال الأشموني: «تكون (على ضمير لائق) بالموصول؛ أي مطابق له في الإفراد والتذكير وفروعهما (مشتملة) ليحصل الربط بينهما وهذا الضمير هو العائد على الموصول.»[46]

وتسهم هي الموصولات في التماسك بين الجمل، ونجدها بكثرة في سورة التوبة ومن أمثلة ذلك قوله تعالى: ﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تُتْرَكُوا وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَلَمْ يَتَّخِذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَا رَسُولِهِ وَلَا الْمُؤْمِنِينَ وَلِيجَةً وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ التوبة/16

فإن الاسم الموصول" الذين" بينته جملة صلة الموصول بعده وهي " جاهدوا منكم ولم يتخذوا..." والإحالة هنا بعدية؛ إذ تحيل إلى ما بعد الاسم المبهم، والاسم الموصول" الذين" يفتقر إلى جملة بعده لتُتم معناه، فيتشكل ربط بين جملة الصلة وجملة الموصول.

ومن شواهد ذلك أيضا قوله تعالى: ﴿ وَمِنْهُمْ مَنْ يَلْمِزُكَ فِي الصَّدَقَاتِ فَإِنْ أُعْطُوا مِنْهَا رَضُوا وَإِنْ لَمْ يُعْطَوْا مِنْهَا إِذَا هُمْ يَسْخَطُونَ﴾ التوبة/58

فالاسم الموصول في: "من يلمزك" يحيل إلى متتالية من الجمل، فإنه يتبين لنا معناه من خلال الرجوع إلى الجمل السابقة، التي جاءت بوصف للمنافقين. والاسم الموصول كغيره من الأدوات موجود بكثرة في هذه السورة المباركة.

5.1. المقارنة:

أدوات المقارنة مثل: ألفاظ التشبيه وأدواته، وكلمات المقارنة مثل: أقل وأكثر ...إلخ.[47] وتنقسم المقارنة إلى «عامة يتفرع منها التطابق و يتم(باستعمال عناصر مثل: Same و التشابه (وفيه تستعمل عناصر مثل

Similar..) والاختلاف (باستعمال عناصر مثل Other,otherwise ...) وإلى خاصة تتفرع إلى كمية (تتم بعناصر مثل more) و كيفية (أجمل من، جميل، مثل...)»[48]

وأدوات وكلمات المقارنة شأنها شأن الأدوات الإحالية الأخرى، تقوم بوظيفة اتساقية. [49] ، ومن شواهد ذلك في السورة قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾ التوبة [24]

فلنتأمل قوله تعالى: "أحب إليكم" فقد وقعت المقارنة بين أمرين؛ الأول هو متاع الدنيا، وقد ذكر في الجملة السابقة: "آباؤكم" و" أبناؤكم" و "إخوانكم" و"أزواجكم" و"عشيرتكم" و"أموال اقترفتموها" و"تجارة تخشون كسادها" و"مساكن ترضونها" فكل هذه الأمور في الجمل السابقة هي من متاع الدنيا الزائل. وقد استخدم الله عز وجل صيغة التفضيل " أحب" أي إنكم تفضلون حب متاع الدنيا على الله ورسوله والجهاد في سبيله. وما نلاحظه هو ربط لفظة المقارنة " أحب" بين الجمل التي تسبقها والجمل التي تليها.

6.1. الاستبدال:

عد اللسانيون المحدثون الاستبدال وسيلة مهمة في تحقيق التماسك النصي. وللاستبدال عدة وجوه: فإما أن يكون اسميا ويتم فيه استخدام عناصر لغوية مثل: (آخر، نفس)، وإما أن يكون استبدالا فعاليا كاستخدام الفعل (يفعل) مكان فعل آخر، وقد يكون الاستبدال قوليا؛ ويتم ذلك باستخدام لفظ (ذلك) نيابة عن عبارة بأكملها.[50]

ويظهر ذلك في قوله: ﴿اشْتَرَوْا بِآيَاتِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِهِ إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ التوبة/09

فجاء الفعل "يعملون" نيابة عن قوله تعالى: "اشتروا، صدوا" الموجودة في الجمل السابقة.

7.1. الحذف:

يعد الحذف من العناصر التي أخذها العلماء بالدراسة بإسهاب سواء في التراث العربي أم عند المحدثين. وهو باب دقيق المسلك كما وصفه الجرجاني. والحذف يتوجب قرينة لتدل عليه، فتشكل القرينة مع ما يحاذيها علاقة تطابق وتماسك في النص. ومن أمثلة ذلك في القرآن الكرين قوله تعالى: ﴿ فَسِيحُوا فِي الْأَرْضِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِي اللَّهِ وَأَنَّ اللَّهَ مُخْزِي الْكَافِرِينَ﴾ التوبة/02

والشاهد في الآية هو إضمار القول، فـ «الفاء: هي الفصيحة على إضمار القول، أي فقل لهم «سيحوا...» [51] فالمتأمل يجد أن جملة " فيسحوا" قد ارتبطت بالجملة المحذوفة (فقل لهم) وهذا من سبيل الإيجاز.

8.1. الربط:

يعد الربط عنصرا فعالا من عناصر الاتساق، وهو باب واسع. وقد تكلم العرب القدماء عن الربط من خلال مسألة كمال الانقطاع وكمال الاتصال والتوسط بينهما. ومن أشهر أدوات الربط نجد أدوات العطف، وهو

متواجد بكثرة في السورة، ومن أمثلته: [﴿ يا أيها الذين إن كثيرا من الأحبار والرهبان ليأكلون ..... بعذاب أليم﴾ ثم نفصل:] فقوله تعالى: ﴿وَأَذَانٌ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى النَّاسِ يَوْمَ الْحَجِّ الْأَكْبَرِ أَنَّ اللَّهَ بَرِيءٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ فَإِنْ تُبْتُمْ فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِي اللَّهِ وَبَشِّرِ الَّذِينَ كَفَرُوا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ التوبة/34 فهذه الجملة معطوفة على جملة﴿) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا إِنَّ كَثِيرًا مِنَ الْأَحْبَارِ وَالرُّهْبَانِ لَيَأْكُلُونَ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يُنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ التوبة/34

قال ابن عاشور: « والمناسبة بين الجملتين: أن كلتيهما تنبيه على مساوئ أقوام يضعهم الناس في مقامات الرفعة والسؤدد وليسوا أهلا لذلك، فمضمون الجملة الأولى بيان مساوئ أقوام رفع الناس أقدارهم لعلمهم ودينهم، وكانوا منطوين على خبائث خفية، ومضمون الجملة الثانية بيان مساوئ أقوام رفعهم الناس لأجل أموالهم فبين الله أن تلك الأموال إذا لم تنفق في سبيل الله لا تغني عنهم شيئا من العذاب »[52]، فشكّل العطف علاقة تناسب بين الجملة الأولى والثانية.

2. الاتساق المعجمي في السورة:

1.2. التكرار(Reiteration) :

يعني التكرار التجديد والخلق بعد فناء، وكأن« المتكلم- على سبيل المثال- يذكر عدة جمل متتالية وبعد فترة من الحديث يكاد المستمع أن يصل إلى نسيان ما قيل في أول الكلام، فنجد المتكلم يعود ليكرر بعض ما قاله أولا، ليذكر المستمع ويبعث الجملة ويحددها بعد أن كادت تنسى»[53]، والتكرار كما ذكرنا سابقا قد يكون باللفظ وقد يكون بالمعنى.

والملاحظ للسورة يجد أن أكثر لفظ قد تكرر فيها هو لفظ الجلالة " الله" عز وجل فقد تكرر مئة وسبعين مرة في السورة بلفظه، فضلا عن تكراره بلفظ بمعناه " ربكم، التواب، ...إلخ.

يقول تعالى: ﴿يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَكُمْ لِيُرْضُوكُمْ وَاللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَقُّ أَنْ يُرْضُوهُ إِنْ كَانُوا مُؤْمِنِينَ﴾ التوبة/62

تكررت في الآية لفظة " الله" عز وجل مرتين، ففي الجملة الأولى يبين الله عز وجل أنهم يحلفون به ليرضوا المؤمنين- كذبا- وفي الجملة الثانية المعطوفة عليها يبين لهم الله عز وجل أن الله و رسوله هو أحق بالتوبة والإنابة.

قال الطبري: «ذكر لنا أن رجلا من المنافقين، قال: والله إن هؤلاء لخيارنا وأشرافنا، وإن كان ما يقول محمد حقا، لهم شر من الحمير. قال: فسمعها رجل من المسلمين فقال: والله إن ما يقول محمد حق، ولأنت شر من الحمار، فسعى بها الرجل إلى نبي الله -صلى الله عليه وسلم- فأرسل إلى الرجل فدعاه، فقال له: ما حملك على الذي قلت؟ فجعل يلتعن، ويحلف بالله ما قال ذلك (...) فأنزل الله في ذلك ﴿يحلفون بالله لكم ليرضوكم، والله ورسوله أحق أن يرضوه إن كانوا مؤمنين﴾»[54]

ومن التكرار أيضا، تكرار لفظ (المشركين) وكذلك لفظ (القوم) و(لناس)...إلخ

2.2. التضام: (Collocation)

عرفنا سابقا أن التضام المعجمي قد يكون إما على السبيل الترادف، أو على سبيل الطباق. ومن شواهد الطباق في السورة قوله تعالى: ﴿إِلَّا تَنْصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَى وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ التوبة/40

عطف الله -عز وجل- جملة: "وجعل كلمة الذين كفروا السفلى" على جملة: "وكلمة الله هي العليا" فالعلاقة بين الجملتين هي علاقة تضاد بين كلمتين (السفلى، العليا) لكنها علاقة تكامل في المعنى، فالله عز وجل قد بين أنه قد أسفل كلمة المشركين في الجملة الأولى، وأعلى كلمته كما وضح ذلك في الجملة الثانية. وأمثلة الطباق كثيرة في السورة.

أما علاقة الترادف فهي كثيرة أيضا ومنها قوله تعالى: ﴿بَرَاءَةٌ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ التوبة/01

وقوله: ﴿وَأَذَانٌ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى النَّاسِ يَوْمَ الْحَجِّ الْأَكْبَرِ أَنَّ اللَّهَ بَرِيءٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ فَإِنْ تُبْتُمْ فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِي اللَّهِ وَبَشِّرِ الَّذِينَ كَفَرُوا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ التوبة/03

فالمشركين التي في الجملة الأولى، عبر الله عنهم بـ" الذين كفروا" بعد متتالية من الجمل. وأمثلة الترادف أيضا كثيرة في السورة نذكر منها:

- المؤمنين= المهتدين= المتقين= المحسنين ... إلخ
- الكافرين: وترادفها كلمة : الذين كفروا، المشركين، والفاسقين... إلخ.

- **ثالثا دراسة العلاقات بين الجمل من خلال موقعها الإعرابي نماذج مختارة:**

1. الجملة الواقعة خبرا:

الخبر هو الجزء المتم للفائدة، وقد يقع الخبر جملة كما قد يقع مفردا، وجملة الخبر « هي التي تكون خبرا لمبتدأ، أو لفعل ناقص، أو لحرف مشبه بالفعل. و محلها الرفع إذا كانت خبرا للمبتدأ أو للحرف المشبه بالفعل، والنصب إذا كانت خبرا للفعل الناقص، أو للحرف المشبه»[55]. وقد يكون خبر المبتدأ تركيبا من جملتين، إذا كان المبتدأ اسم شرط جازما، نحو قول زهير من الطويل:

وَمَن يَعْصِ أطرَافَ الزّجاجِ فَإِنَّهُ .. يُطيعُ العَوَالي رُكّبَتْ كلَّ لَهْذَمِ

وقد جاءت جملة الخبر في مواضع عدة في السورة نذكر منها قوله تعالى: ﴿إِلَّا تَنْصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَى وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ التوبة/40

فمحل الشاهد في هذه الآية الكريمة، هو وقوع جملة "إن الله يحب المتقين" في محل رفع خبر إن. ووجه التعالق ههنا أن أداة النصب " إن" مع اسمها " لفظ الجلالة الله" تحتاج إلى خبر ليتم الفائدة، فنابت الجملة الفعلية محل الخبر، لتشكل هي مع الجملة التي تسبقها تمام الفائدة. والفعل المضارع في الآية يوحي بالاستمرارية والديمومة، وقد سبق الفعل المضارع الذي يدل على الاستمرارية بأداة التوكيد "إن"، ليؤكد الله عز وجل دوام

حبه للمتقين، أما قوله "المتقين" فقد جاء عند الطبري: «إن الله يحب من اتقاه بطاعته بأداء فرائضه، واجتناب معاصيه »[56] والشاهد الثاني في قوله تعالى: ﴿اشْتَرَوْا بِآيَاتِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِهِ إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ سورة التوبة/09 فإننا نجد جملة " يعملون": في محل نصب خبر " كانوا"، ودخول الجملة الفعلية على فعل الكون، إشارة إلى أن هذا دأب لهم متكرر (أي سوء العمل)، قال ابن عاشور:« و(ساء) من أفعال الذم من باب بئس، و " ما كانوا يعملون" مخصوص بالذم، وعبر عن عملهم " بكانوا يعملون" للإشارة إلى أنه دأب لهم ومتكرر منهم»[57].

2. الجملة الواقعة حالا:

كنا قد فصلنا سابقا في الفصل النظري القول في جملة الحال، وذكرنا أنه لا بد للجملة من رابط يعود على صاحب الحال، ويربط الجملة الأولى بالثانية، وقد وردت جملة الحال في القرآن الكريم في مواطن عديدة نذكر منها:

قوله تعالى: ﴿قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ﴾ سورة التوبة/29. والشاهد في هذه الآية هو جملة " وهم صاغرون"

فقد جاءت الجملة المكونة من المبتدأ والخبر" وهم صاغرون" في محل نصب حال، وهو يعود على الذين " أوتوا الكتاب" وقد وصفهم الله تعالى بأنهم لا يحرمون ما حرم الله ورسوله ولا يدينون دين الحق، فبين الله عز وجل أنه على المؤمنين قتالهم، حتى يعطوا الجزية، وهم بحال ذليلة.

3. الجملة الواقعة مفعولا به:

قد تقع الجملة في محل نصب مفعول به، وقد تكون إما محكية بالقول أو بما يرادفه، ولم تقترن بحرف تفسير، أو واقعة في موقع المنصوب بفعل قبلي أو ما يقوم مقامه، أو بفعل من أفعال التحويل، أو بقسم استعطافي.[58]

وقد جاء في مواضع كثيرة في السورة نذكر منها:

قوله تعالى: ﴿ فَسِيحُوا فِي الْأَرْضِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِي اللَّهِ وَأَنَّ اللَّهَ مُخْزِي الْكَافِرِينَ ﴾ سورة التوبة/2. ومحل الشاهد أن : جملة "سيحوا" في محل نصب مفعول به لمقول القول« بمعنى فقولوا لهم سيحوا»[59]ووجه الربط أن جملة سيحوا قد ارتبطت بالقول، فبينت المعنى، وهو أمر الله عز وجل لنبيه بأن يخبرهم بذلك .

4. جملة جواب الشرط الجازم المقترن " بالفاء" أو " إذا" الفجائية:

وهي الجملة التي تسبق بأداة شرط جازم لفعلين فإن اقترنت "بالفاء" أو "إذا" الفجائية جزمت الجملتين معا، ولعلها من أكثر الجمل تواجدا في السورة فقد وردت في مواضع كثيرة نذكر منها:

قال الله تعالى: ﴿ أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّهُ مَنْ يُحَادِدِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَأَنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدًا فِيهَا ذَلِكَ الْخِزْيُ الْعَظِيمُ﴾ سورة التوبة/63. وجملة " فإن له نار جهنم خالدا فيها" جاءت جوابا للشرط الجازم المقترن بالفاء الرابطة، قال الطبري: «وكان بعض نحويي البصرة يختار الكسر على الابتداء، بسبب دخول الفاء فيها، وإن دخوله فيها عنده دليل أنها جواب الجزاء»[60] وجملة جواب الشرط تأتي لتبين عاقبة الشرط، وجملة الشرط تفتقر إلى جملة الجواب افتقارا متأصلا، فلا بد للشرط من جواب.

5. الجملة الواقعة مضافا إليه:

جملة المضاف إليه محلها الجر، وتقدر بمصدر، وهي غالبا تضاف إلى اسم زمان أو مكان[61]، وقد وردت هي الأخيرة في مواضيع عديدة من السورة نذكر منها قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ انْفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ اثَّاقَلْتُمْ إِلَى الْأَرْضِ أَرَضِيتُمْ بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الْآَخِرَةِ فَمَا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الْآَخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ﴾ سورة التوبة/38. والملاحظ يجد أن جملة " قيل لكم" جاءت في محل جر مضاف إليه، وقد ارتبطت بالجملة الاستفهامية السابقة لها من خلال أداة الشرط "إذا".

6. الجملة الواقعة صفة:

يأتي محل الصفة تبعا لموصوفها في الإعراب، فهي ترتبط به وتتبعه وتكون مطابقة له ومن أمثلة ذلك من السورة قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنْ كَانَ آَبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾ سورة التوبة/24 فجملة " اقترفتموها" جاءت في محل جر " نعت" لـ " أموال"، وأموال "اقترفتموها" بمعنى " اكتسبتموها". فقد وصفت هذه الجملة الأموال بأنها " مكسوبة".

7. الجملة التابعة:

ذكرنا أنه قد تكون تابعة لمفرد أو لجملة، ومن أمثلتها في القرآن الكريم، قوله تعالى: ﴿فَسِيحُوا فِي الْأَرْضِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِي اللَّهِ وَأَنَّ اللَّهَ مُخْزِي الْكَافِرِينَ﴾ سورة التوبة/2. فجملة " واعلموا" معطوفة على "فسيحوا "وتعرب إعرابها، وهذا خطاب للكفار بمعنى " قل لهم سيحوا في الأرض أربعة أشهر واعلموا أنكم غير معجزي الله". وقد ارتبطت بما سبقها بحرف العطف الواو.

وكذلك في قوله تعالى: ﴿ وَأَذَانٌ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى النَّاسِ يَوْمَ الْحَجِّ الْأَكْبَرِ أَنَّ اللَّهَ بَرِيءٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ فَإِنْ تُبْتُمْ فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِي اللَّهِ وَبَشِّرِ الَّذِينَ كَفَرُوا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ سورة التوبة/3. فجملة و"أذان..." قد عطفت على جملة "براءة" يقول ابن عاشور «وموقع لفظ "أذان" كموقع لفظ "براءة" في التقدير، وهذا إعلام للمشركين الذين لهم عهد بأن عهدهم انتقض»[62] وبهذا تكون جملة "وأذان" قد ارتبطت بجملة " براءة".

- خاتمة:

بعد دراسة مظاهر الاتساق في سورة التوبة، يكون البحث قد أجاب عن الإشكالية: هل **للموقع الإعرابي للجملة أثر على تماسك النص؛ حيث ظهر ان الموقع الإعرابي قرينة معنوية تسهم في التماسك النصي.**

وتخلص هذه المقالة إلى نتائج نجملها كالآتي:

1- الموقع الإعرابي للجملة قرينة معنوية تسهم في تماسك النص، حيث تتلازم جمل معنويا لتمام معناها، كالجملة الشرطية وجوابها.

2- هناك جمل لا محل لها من الاعراب تتلازم معنويا –لم يدرسها المقال- كجملة القسم وجوابها، والجملة الشرطية الواقعة جوابا لشرط غير جازم، أو لم تقترن بالفاء أو إذ الفجائية، والجملة المبهمة والتي تفسرها، وجملة صلة الموصول، والمعطوفة على جملة لا محل لها من الاعراب، وموقع هذه الجمل يسهم في تماسك النص.

3- تبين لنا من خلال ترجمة المصطلحات التي جاءت بها لسانيات النص، وجود مستويين من المترجمين؛ المستوى الأول، متأثر بالدراسات التراثية تتميز ترجمته بطابع الأصالة كترجمة مصطلحي (cohérence و cohésion) بـ(السبك و الحبك)، ومستوى آخر يهتم بالمصطلحات الأكثر شيوعا في الوقت المعاصر كـ(الاتساق والانسجام).

4- هناك من يفرق بين الاتساق والانسجام، فجعل الاتساق يخص التماسك على المستوى البنائي الشكلي فحسب كمحمد خطابي، وهناك من جعل الاتساق مصطلح شامل للعلاقات الدلالية والخطية كهاليداي ورقية حسن، وقد جمع صبحي إبراهيم الفقي الاتساق والانسجام والعلاقات لكلا المصطلحين تحت مسمى " التماسك".

5- التماسك أو الاتساق مصطلح عام، ففضلا عن الأدوات التي وضعها هاليداي ورقية حسن وبراون ويول، وهي الأشهر في حقل اللسانيات، من شأنه أن يجمع كل دراسة تهتم برصد العلاقات داخل النصوص.

6- يشكل الموقع الإعرابي للجملة في اللغة العربية علاقات بين الجمل حتى تغدو كالضميمة الواحدة، فجملة الشرط لا بد لها من جملة جواب الشرط، وجملة الحال تحيل إلى هيئة صاحبه الذي نجده في الجملة السابقة لها، وهكذا دواليك.

7- كما نلاحظ أنه رغم تنوع مدلولات آيات سورة التوبة، إلا أن كثرة أدوات التماسك التي وجدناها فيها، تجعل السورة كالسبيكة الواحدة مقرونة معانيها بعضها ببعض، بل وقد نجد أن معانيها قد تقترن بسورة أخرى، وهذا ما وجدناه في دلالة حذف البسملة في رأي من يرى أنها مقرونة معانيها بسورة الأنفال.

8- كما نلاحظ أيضا تداخلا بين عناصر الاتساق، فلو أخذنا الربط لوجدنا أنه من قبيل الإحالة، وكذا عنصر الاستبدال، فأنت تستبدل اللفظ بشيء سبق ذكره، وهذا لا يخرج عن الإحالة، مما جعلنا نتساءل لمَ لمْ يدخل الربط والاستبدال ضمن عناصر الإحالة في النتائج عند النصانيين المحدثين.

-الهوامش والإحالات:

(1) محمد خطابي، لسانيات النص مدخل إلى انسجام الخطاب، المركز الثقافي العربي، ط1، سنة 1991، ص17.

(2) الأزهر الزناد، نسيج النص، بحث في ما يكون به الملفوظ نصا، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط1، 1993، ص118.

(3) أحمد عفيفي، نحو النص اتجاه جديد في الدرس النحوي، مكتبة زهراء الشرق، القاهرة-مصر، ط سنة 2001م، ص116-117

(4) أحمد عفيفي، نفسه، ص 117.

(5) ينظر: أحمد عفيفي، الإحالة في نحو النص، كلية دار العلوم، جامعة القاهرة، (د ط)، (د ت)، ص14.

(6) المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

(7) ينظر، المصدر نفسه، ص19-20.

(8) الجرجاني، (أبو بكر عبد الله بن عبد الرحمن بن محمد الجرجاني)، دلائل الإعجاز، تح: محمود محمد شاكر، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط3، سنة1992، ص146.

(9) روبرت دي بوجراند، النص والخطاب والإجراء، تر: تمام حسان، عالم الكتب، القاهرة-مصر، ط1، سنة 1998م، ص301.

(10) أحمد عفيفي، نحو النص اتجاه جديد في الدرس النحوي، ص126.

(11) محمد خطابي، لسانيات النص مدخل الى انسجام الخطاب، ص21.

(12) ينظر، محمد خطابي، لسانيات النص مدخل إلى انسجام الخطاب، ص22.

(13) أحمد عفيفي، الإحالة في نحو النص، ص06.

(14) إبراهيم محمود خليل في اللسانيات ونحو النص، دار المسيرة، عمان، ط1، 2007، ص224.

(15) ينظر: إبراهيم محمود خليل، في اللسانيات ونحو النص، ص224-225

(16) ينظر: الزركشي (بدر الدين بن عبد الله الزركشي)، البرهان في علوم القرآن، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار التراث، القاهرة، مصر، د ط، د ت، ج 4، ص104-105

(17) الزركشي، البرهان في علوم القرآن، ص106

(18) الزركشي، مرجع سابق، ص106-107

(19) ابن الناظم (أبو عبد الله بدر الدين محمد، ابن الإمام جمال الدين محمد بن مالك)، شرح ابن الناظم على ألفية ابن مالك، تح: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت \ لبنان، ط1،سنة 1420هـ، 2000م، ص370

(20) محمد خطابي، لسانيات النص مدخل إلى انسجام الخطاب، ص23

(21) المرجع نفسه، ص 23

(22) إبراهيم محمود خليل، في اللسانيات ونحو النص، ص231

(23) ابن الأثير (ضياء الدين ابن الأثير)، المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، تح: أحمد الحوفي، بدوي طبانة، نهضة مصر، القاهرة، د ط، د ت، ج 3، ص03

(24) السجلماني، المترع البديع، ص476، نقلا عن جميل عبد المجيد، بين البلاغة العربية واللسانيات النصية، ص84

(25) ينظر، جميل عبد البديع، بين البلاغة العربية واللسانيات النصية، ص84

(26) السعدي، (عبد الرحمن بن ناصر السعدي)، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، تح: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، دار السلام، الرياض\ السعودية، ط2، سنة 1422-2002، ص618

(27) محمد خطابي، لسانيات النص، مدخل إلى انسجام الخطاب، ص24

(28) ينظر، المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

(29) ينظر، محمد خطابي، لسانيات النص مدخل إلى انسجام الخطاب، ص24-25

(30) ينظر: تمام حسان، اللغة العربية معناها ومبناها، دار الثقافة، الدار البيضاء\ المغرب، د ط، سنة 1994م، ص216-217

(31) نادية رمضان النجار، التضام والتعاقب في الفكر النحوي، مجلة علوم اللغة، دراسة علمية محكمة، دار غريب للطباعة والنشر، القاهرة \ مصر، مجلد3، عدد4، سنة2000م، ص105.

(32) ينظر، تمام حسان، البيان في روائع القرآن، دراسة لغوية وأسلوبية للنص القرآني، دار الكتب، ط1، سنة 1413-1993، ص156، وينظر أيضا، تمام حسان اجتهادات لغوية، عالم الكتب، ط1، سنة 2007، ص66

(33) محمد خطابي، لسانيات النص، مدخل إلى انسجام الخطاب، ص25

(34) ينظر، المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

(35) ينظر، تمام حسان اجتهادات لغوية، ص من:299 إلى 302

(36) فاضل صالح السامرائي، الجملة العربية تأليفها وأقسامها، دار الفكر، عمان-الاردن، ط2، سنة2007م-1427ه، ص31.

(*) - يقصد ضمائر الرفع والنصب والجر

(37) - مصطفى الغلاييني جامع الدروس العربية، تح: علي سليمان شبارة، مؤسسة الرسالة ناشرون، دمشق . سوريا، ط1، سنة1431-2010، ص113

(38) - الطبري (أبو جعفر محمد بن جرير الطبري، ت 310ه) جامع البيان عن تأويل آي القرآن، دار الفكر، بيروت-لبنان، دط، سنة1984م-1405ه، ج10، ص63.

(39) ينظر، نعمان بوقرة، المصطلحات الأساسية في لسانيات النص وتحليل الخطاب، دراسة معجمية، جدارا للكتاب العالمي، عالم الكتب الحديث، عمان.الأردن، ط1، سنة 2009م.1429ه، ص87و ينظر أيضا، الأزهر الزناد، نسيج النص، ص116

(40) نعمان بوقرة، مرجع سابق، ص 86.

(41) المرجع نفسه، ص87.

(42) الأزهر الزناد، نسيج النص، ص117-118.

(43) - محمد خطابي، لسانيات النص مدخل إلى انسجام الخطاب، ص19.

(44) مصطفى الغلاييني، جامع الدروس العربية، ص124.

(45) الأشموني (علي بن محمد بن عيسى بن يوسف الأشموني ت 929ه)، شرح الأشموني المسمى منهج السالك إلى ألفية بن مالك، تحقيق محي الدين عبد الحميد، دار الكتاب العربي، بيروت-لبنان، ط1، سنة 1999م، 1375ه، ص74.

(46) المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

(*) فلا تستعمل لغيره، أما غير العقلاء فيستعمل له ما يستعمل لجمع الإناث.

(47) ينظر، أحمد عفيفي، نحو النص اتجاه جديد في الدرس النحوي، ص118

(48) محمد خطابي، لسانيات النص مدخل الى انسجام الخطاب، ص19

(49) - ينظر، أحمد عفيفي، نحو النص اتجاه جديد في الدرس النحوي، ص118.

(50) - ينظر، أحمد عفيفي، نحو النص اتجاه جديد في الدرس النحوي، ص123-124.

(51) - سعد عبد العزيز مصلوح وآخرون، التفصيل في إعراب آيات التنزيل، مكتبة الخطيب، الكويت، ط1، سنة 2015، ج10، ص90.

(52) - محمد الطاهر ابن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر، تونس، دط، د ت، ج10، ص176.

(53) - فاطمة زياد، ثنائية الاتساق والانسجام في الخطاب الشعري عند سميح القاسم ليلى المدينة –أنموذجا- مجلة الآداب والعلوم الاجتماعية، جامعة فرحات عباس، سطيف، العدد21، ديسمبر 2015، ص111.

(54) - الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ج10، ص170.

(55) - فخر الدين، إعراب الجمل وأشباه الجمل، دار القلم العربي، حلب، سوريا، ط 5، سنة 1409ه-1989م، ص147.

(56) - الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ج10، ص77.

(57) - محمد الطاهر ابن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر، تونس، دط، د ت، ج10، ص126.

(58) - ينظر، فخر الدين قباوة، إعراب الجمل وأشباه الجمل، ص165.

(59) - بهجت عبد الواحد صالح، الإعراب المفصل لكتاب الله المرتل، دار الفكر للنشر والتوزيع، عمان-الأردن، ط1، سنة 1993م-1414ه، ص246.

(60) - الطبري، جامع البيان تأويل آي القرآن، ج10، ض171.

(61) - ينظر، إبراهيم قلاتي، قصة الإعراب جامع دروس النحو والصرف، ص554.

(62) - ابن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، ج10، ص107.